

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[47] - فمرّ بي بعد هدوء الليل، فقال: يا نوح أراقد أنت أم راقم؟. قلت: بل راقم ببصري يا أمير المؤمنين. قال: "يا نوح طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، وأولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً، وترايبها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن دثاراً، والدعاء شعاراً..."(1). التفسير أوضح السبل لمعرفة القرآن: آيات القرآن الكريم ليست للقراءة والتلاوة فقط، بل نزلت لكي يفهم الناس مقاصدها ويدركوا معانيها، وما التلاوة والقراءة إلا مقدمة لتحقيق هذا الهدف، أي التفكير والتدبر والفهم، ولهذا جاء القرآن في الآية الأولى من الآيات الحاضرة يشير إلى عظمة خلق السماوات والأرض، ويقول: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)(2). وبهذا يحث الناس على التفكير في هذا الخلق البديع والعظيم، ليصيب كل واحد منهم - بقدر استعداده، وقدرته على الاستيعاب - من هذا البحر العظيم الذي لا يدرك له ساحل ولا قعر، ويرتوي من منهل أسرار الخلق العذب. حقاً أن هذا الكون العظيم بما فيه من نظام متقن وبديع، ونقوش رائعة، ولوحات خلاصة كتاب بالغ العظمة، كتاب في كل حرف من حروفه، وكل سطر من أسطره دليل ساطع على وجود الخالق المبدع ووحدانيته، وتفردّه(3). إن هذا النقش الساحر الأسر للقلوب، المبتوث في كل ناحية من نواحي هذا _____ 1 - سفينة البحار، مادة نوح، ج 2، ص 622. 2 - التعبير بأولي الألباب - في هذه الآية وآيات عديدة أخرى في الكتاب العزيز - إشارة لطيفة إلى أرباب العقول، لأن اللب من كل شيء خيره خالصه، ولا شك أن العقل هو خير ما في الإنسان، وهو عصارة وجوده الإنساني. 3 - لقد بحثنا في المجلد الأول من هذا التفسير في معنى اختلاف الليل والنهار وأسرارهما عند تفسير الآية 164 من سورة البقرة فراجع.